# منوعات

MEDIA

## إحسان القاضي حرّ

الجزائر ـ **عثمان لحياني**

أفرج عن الصحافي الجزائري إحسان القاضي المسجون منذ نهاية 2022، أمس الجمعة، بموجب عفو أصدره الرئيس عبد المجيد تبون لمناسبة الذكرى السبعين لحرب الاستقلال (1954-1962)، بحسب محاميه. وكانت محكمة الاستئناف قد شددت في يونيو/ حزيران 2023 عقوبة القاضي (63 عاماً)، وقضت بسجنه سبعة أعوام، منها خمسة نافذة بزيادة عامين عن الحكم الابتدائي. وفي أكتوبر/ تشرين الأول من العام نفسه، رفضت المحكمة العليا الطعن الذي قدّمه الصحافي، ما جعل إدانته نهائية. وصدر الحكم الابتدائي في إبريل/ نيسان في حق القاضي الذي يدير إحدى آخر المجموعات الصحافية الجزائرية المستقلة، وتضم إذاعة راديو إم وموقع مغرب إيمرجنت الإخباري، وقضى بسجنه خمسة أعوام، اثنان منها مع وقف التنفيذ بتهمة تلقي «تمويل أجنبي». وأعلنت النيابة العامة خلال المحاكمة أن تهمة القاضي هي تلقي أموال من الخارج «قصد القيام بأفعال من شأنها المساس بأمن الدولة أو باستقرار مؤسساتها». وذكرت المحامية زبيدة عسول خلال المحاكمة أن ملف القضية مبني على أموال بقيمة «25 ألف جنيه إسترليني تلقاها الصحافي على دفعات من ابنته تينهنان القاضي المقيمة في لندن والمساهمة في شركة أنترفاس ميديا»، وأوضحت أن تلك الأموال «كانت موجهة لتسديد ديون الشركة الناشرة للوسيلتين الإعلاميتين إذاعة راديو أم وموقع مغرب إيمرجنت الإخباري».

بينت بعض أكبر شركات التكنولوجيا في العالم، هذا الأسبوع، أن عشرات المليارات من الدولارات التي راهنت عليها في الذكاء الاصطناعي تؤتي ثمارها. لكن المخاوف لا تزال قائمة

# الرهان على الذكاء الاصطناعي يؤتي ثماره

واشنطن ـ **العربي الجديد**

كشفت الإيرادات والأرباح التي أعلن عمالقة التكنولوجيا تسجيلها في الربع الثالث من السنة أن رهانهم على قطاع الذكاء الاصطناعي الذي احتدمت المنافسة فيه منذ إطلاق شركة أوبن إيه آي برنامجها «تشات جي بي تي» يؤتي ثماره، إذ فاقت النتائج الفصلية توقعات المحللين والمستثمرين. لكن ذلك لم يقض تماماً على المخاوف بشأن الاستثمار في هذا القطاع، إذ إن تكاليفه باهظة.

### «ميتا» تربح لكن المخاوف قائمة

سجلت «ميتا»، التي تضم «فيسبوك» و«إنستغرام» و«واتساب»، إيرادات وأرباحاً في الربع الثالث من السنة فاقت مرة جديدة توقعات السوق، لكن مخاوف المستثمرين لا تزال قائمة بشأن إنفاقها الضخم على الذكاء الاصطناعي. وحققت الشركة الثانية عالمياً في مجال الإعلانات عبر الإنترنت عائدات بـ40,59 مليار دولار، بزيادة 19% على أساس سنوي، حصلت منها على أرباح بقيمة 15,69 ملياراً (+35%)، أي أكثر من ملياري دولار مما توقعه المحللون.

وأشاد رئيس «ميتا» مارك زوكربيرغ، خلال مكالمة مع المحللين، بـ«ربع جيد» أصبحت «الرؤية طويلة الأمد للذكاء الاصطناعي» خلاله مركز اهتمام. وبدأت «ميتا» تستخدم هذه التكنولوجيا على نطاق واسع للتوصية بالمحتوى وتوجيه الإعلانات لمليارات المستخدمين (3,29 مليارات في سبتمبر/ أيلول)، و«هذا هو أحد أسباب الزيادة في حجم مبيعاتها»، وفق ديبرا ويليامسون، من «سوناتا إنسايتس». وبحسب زوكربيرغ، استخدم أكثر من مليون معلن أدوات إنشاء محتوى مدعومة بالذكاء الاصطناعي خلال الشهر الماضي. وبسبب خوارزميات التوصية، زاد الوقت الذي يستغرقه المستخدمون في تصفّح تطبيقاتها (+8% على فيسبوك، و+6% على إنستغرام هذا العام). ولاحظت ديبرا ويليامسون أن «نمو إيرادات ميتا القوي في هذا الربع سيساعد في درء المخاوف بشأن استثماراتها في الذكاء الاصطناعي». وقد أجبر نشر الأدوات المماثلة لبرنامج «تشات جي بي تي»، والتي تتيح إنشاء محتوى بناء على طلب بسيط باللغة اليومية، عمالقة التكنولوجيا على الإنفاق، إذ تتطلب التكنولوجيا بنى تحتية باهظة الكلفة وقدراً كبيراً من الطاقة ومجموعات واسعة من المهندسين المؤهلين تأهيلاً عالياً. ورفعت «ميتا» مرة جديدة، الأربعاء، توقعاتها للاستثمار الرأسمالي، فبالنسبة إلى العام 2024 وحده توقعت هامشاً يراوح بين 38 و40 مليار دولار (مقارنة بما بين 37 و40 ملياراً في السابق). ولن تتباطأ الوتيرة سنة 2025. وشدد زوكربيرغ على ضرورة الاستثمار «أكثر» في تطبيقات الذكاء الاصطناعي لأعمال الشركة (الإعلانات والمشاركة على شبكات التواصل الاجتماعي)، مع توقع «عوائد قوية على الاستثمارات في السنوات المقبلة». وأضاف: «لا تزال استثماراتنا في الذكاء الاصطناعي تتطلب بنية تحتية كبيرة»، مشيراً إلى كلفتها، وأوضح أن ميزانية 2025 لم تُحدَّد بعد. وقالت جاسمن إنبرغ، من «إي ماركتر»، عبر وكالة فرانس برس، إنّ «المستثمرين توقّعوا مزيداً من الوضوح». وأضافت: «لقد شعروا بخيبة أمل نوعا ما بسبب الزيادة في التكاليف»، وأدركوا أن الاستثمارات ستستغرق «وقتاً أطول» لتؤتي ثمارها.

لمحاولة تصدّر السباق في المساعدين المزوّدين بالذكاء الاصطناعي، تعتمد «ميتا» على المحادثات مع مستخدمي تطبيقاتها بفضل النسخة الجديدة التي طُرحت في إبريل/ نيسان من «ميتا آيه آي»، وهو مساعدها الذي يجيب عن أسئلة المستخدمين على غرار «تشات جي بي تي». ولفت زوكربيرغ، الأربعاء، إلى أنّ هذا البرنامج يستخدمه أكثر من 500 مليون شخص نشط شهرياً. واكتسبت «ميتا إيه آي» شهرة على منصات المجموعة بفضل «لاما 3»، وهو أحدث إصدار من نموذج الذكاء الاصطناعي لدى «ميتا»، والذي يمكن مقارنته بـ«تشات جي بي تي 4» (أوبن إيه آي) و«جيميناي» (غوغل). وأوضح زوكربيرغ أنّ تطوير لاما 4 «متقدم بشكل جيد»، وتوقع أن تكون الإصدارات «الأخف» من هذا النموذج متاحة «في أوائل العام المقبل». تراهن «ميتا» أيضاً على تطوير النظارات المتصلة، لا سيما بفضل الشراكة مع «إسيلور لوكسوتيكا»، مالكة ماركة «راي بان». وبحسب المحللين، يفترض أن تشهد مبيعات أحدث نظارات «راي بان» المتصلة من «ميتا» ارتفاعاً خلال فترة أعياد نهاية السنة. وتتوقع المجموعة مبيعات تراوح بين 45 و48 مليار دولار في الربع الرابع. وفي سبتمبر، عرضت المجموعة نموذجاً أولياً من نظارة «أوريون» المزودة بكاميرا وسماعات ومساعد قائم على الذكاء الاصطناعي يتم التحكم به بالصوت وأجهزة عرض صغيرة، بعرض مقاطع الفيديو أو حتى الأشخاص على شكل صور ثلاثية الأبعاد.

> عائدات «مايكروسوفت» و«ميتا» «وغوغل» مجتمعة 194,5 مليار دولار

الرئيس التنفيذي لـ«ميتا» مارك زوكربيرغ (جيف بو تاري/ Getty)

### نتائج «مايكروسوفت» تفوق التوقعات

نتائج «مايكروسوفت» للربع السنوي فاقت توقعات السوق، ويعود الفضل في ذلك مجدداً إلى الحوسبة من بعد (السحابة) والإقبال على الذكاء الاصطناعي، لكن البعض يشعر بالقلق من كلفة تطوير هذه الخدمات. وبعدما ارتفع سعر سهم «مايكروسوفت» في البداية، عاد ليتراجع، ففي التعاملات الإلكترونية بعد إغلاق بورصة وول ستريت، انخفض بأكثر من 4%. وبلغ صافي الربح للربع المالي للشركة 24,7 مليار دولار، مسجلاً زيادة بـ11% على أساس سنوي، بحسب بيان للشركة. ووصل سعر سهم الشركة إلى 3,30 دولارات، وهو أفضل من 3,10 دولارات التي توقعها المحللون، بحسب إجماع توصلت إليه «فاكت سيت». وكما هي الحال في الأرباع السابقة، كانت نتائج المجموعة مدفوعة بـ«السحابة»، أي خدمات الحوسبة من بعد التي تقدمها لزبائنها، وخصوصاً الشركات التي تلجأ إلى هذه الخدمة لتخزين وإدارة بيانات تكنولوجيا المعلومات الخاصة بها. وارتفعت إيرادات السحابة بنسبة 22% على أساس سنوي، في وتيرة أسرع مما كانت عليه في الربع السابق (+21%). وسجلت منصة «أزور» التي يستخدمها زبائن «السحابة» زيادة في النمو (+33%)، أعلى مما سُجّل بين إبريل/ نيسان ويونيو/ حزيران. وفي الإجمال، ارتفعت إيرادات «مايكروسوفت» بنسبة 16% لتصل إلى 65,6 مليار دولار.

وأشار المحلل في شركة هارغريفز لانسداون مات بريتزمان إلى زيادة بـ12%، وهي نسبة أتت أعلى من التوقعات في قسم الإنتاجية والأدوات المهنية الذي تدمج خدمات الذكاء الاصطناعي في عروضها. ورأى بريتزمان أنّ هذا «يدعم الفرضية القائلة إن مشغلي السحابة الكبار في وضع جيد للاستفادة من الطلب على الذكاء الاصطناعي». ونقل بيان الشركة عن رئيسها التنفيذي ساتيا ناديلا قوله «إننا نكتسب زبائن جدداً نساعدهم في استخدام منصاتنا وأدوات الذكاء الاصطناعي الخاصة بنا لتحقيق نمو وهوامش تشغيل». اكتسبت المجموعة خلال هذا الفصل من السنة مليوني زبون أُضيفوا إلى مجموعة المشتركين في برامج «مايكروسوفت 365» الخاصة بها، والتي يبلغ إجمالي مستخدميها راهناً 84,4 مليوناً. وركّزت الشركة قدرات الذكاء الاصطناعي التوليدي في المساعد الافتراضي «كوبايلوت»، الذي يتيح لمستخدمي «مايكروسوفت 365» المشتركين في هذه الخدمة إنجاز مهام معينة بسرعة أكبر. ونمو الأرباح بوتيرة أقل من حجم المبيعات يرجع إلى الوتيرة المحمومة في معدل زيادة التكاليف (+23%). وبررت «مايكروسوفت» ذلك بتأثير الاستحواذ على الشركة الناشرة لألعاب الفيديو أكتيفيجن، ضمن صفقة تمت قبل عام، وكذلك بالاستثمارات في «السحابة». وفي هذا الربع وحده، أنفقت شركة تكنولوجيا المعلومات العملاقة 20 مليار دولار على «السحابة» والذكاء الاصطناعي، وأشارت إلى أن هامش الربح الإجمالي لها في القسمين بما فيهما «السحابة» انخفض قليلاً بسبب نشر قدرات جديدة للذكاء الاصطناعي. وقال المحلل في شركة إ ماركتر جيريمي غولدمان، في مذكرة، إنّ المجموعة «تنفق الأموال لبناء بنيتها التحتية» المخصصة للحوسبة من بعد، «لكن العائد على الاستثمار يبدو وكأنه وعد أكثر من كونه حقيقة».

## نتائج قوية لـ«غوغل»

أعلنت «ألفابت»، الشركة الأم لـ«غوغل»، الثلاثاء عن نتائج قوية للربع الثالث، إذ ارتفعت إيراداتها بنسبة 15% على أساس سنوي إلى 88,3 مليار دولار، مدعومة بالأداء القوي من أنشطتها الإعلانية والنمو في الخدمات السحابية. فقد ارتفع صافي دخل شركة التكنولوجيا العملاقة بنسبة 34% إلى 26,3 مليار دولار، فيما ارتفعت الأرباح لكل سهم بنسبة 37% إلى 2,12 دولار. وتوسعت هوامش التشغيل بشكل كبير، إذ ارتفعت بنسبة 4,5 نقاط مئوية إلى 32%، مما يعكس تحسن كفاءة التكلفة في واحدة من أكبر شركات العالم. وقال الرئيس التنفيذي للمجموعة ساندر بيتشاي «إن التزامنا بالابتكار، فضلاً عن تركيزنا واستثمارنا على المدى الطويل في الذكاء الاصطناعي، يؤتي ثماره مع استفادة المستهلكين والشركاء من أدوات الذكاء الاصطناعي لدينا».

وأظهرت النتائج أن «غوغل» تحافظ على مكانتها الرائدة على الرغم من القلق من تأخر المجموعة المشغلة لأبرز محركات البحث الإلكترونية في سباق الذكاء الاصطناعي. تواجه «غوغل» أيضاً ضغوطاً متزايدة، إذ تواجه منافسة متزايدة في قطاع الإعلانات مع مجموعة واسعة من المنصات، بما في ذلك «ميتا» و«أمازون» و«آبل» و«تيك توك»، وحتى منصات البث التدفقي مثل «نتفليكس». لكن المحللة الرئيسية في «إي ماركتر» إيفلين ميتشل وولف قالت إن «غوغل» أثبتت أن دفاعها «محكم، وأنها تتجه إلى موسم أعياد نهاية العام في وضع جيد للفوز بميزانيات الإعلانات». كما أجابت الشركة عن أسئلة حول ما إذا كان محرك البحث الخاص بها سيصمد في وجه الشعبية المتزايدة لروبوتات الدردشة المولدة للذكاء الاصطناعي مثل «تشات جي بي تي». رداً على هذه الضغوط، أعادت «غوغل» في وقت سابق من هذا الشهر ترتيب هيكلية العمل في محرك البحث التابع لها، واستبدلت رئيس القسم بعد مهمة استمرت أربع سنوات. كما نقلت الشركة فريق روبوت الدردشة «جيميناي» الخاص بها إلى قسم «غوغل ديبماينيد»، ما أدى إلى فصله عن مجموعة البحث. قال بيتشاي إن خاصية «إيه آي أوفرفيوز» التي تعرض لمحة موجزة من المعلومات في أعلى صفحة النتائج على محرك البحث أثبتت نجاحها، وباتت متاحة لمليار مستخدم في أكثر من 100 دولة. وأضاف بيتشاي للمحللين: «نحن بالتأكيد نوسع ما هو ممكن في البحث، وكان من المشجع حقاً أن نرى المستخدمين يتكيفون مع ذلك».

وثائقي

يقترح الفيلم الوثائقي التخيُّلي فرضية مفادها أن يقتحم مؤيدو رئيس أميركي مُتخيّل مبنى الكابيتول، كما حدث فعلاً في عام 2021، عندما اقتحمه مؤيدو ترامب

# War Game

## ماذا لو اقتُحم مبنى الكابيتول مرّة أخرى؟

**ميار مهنا**

لا يـزال خطر اقتـحام مبنى الكابيتول الذي أقدم عليه مؤيدو ترامب منذ ثلاث سنوات يتردّد صداه، ولا سيما مع اقتراب الانتخابات الأميركية المزمع تنظيمها بعد يومين، ما يطرح تساؤلات حول تكرار هذا السيناريو الخطير مرة أخرى في حال خسارة ترامب، خصوصاً أن الأخير قال إن «الولايات المتحدة كانت أمة فاشلة في عهد بايدن وخلال وجود هاريس في منصبها».

جاء الفيلم الوثائقي War Game لينقل هذه القضية الجدلية إلى منحىً آخر، كونه أثار موضوعاً لم يُعرض من قبل على شاشة السينما، إضافةً إلى كونه شديد الراهنية، إذ يتعلق بمستقبل الولايات المتحدة بعد أن يتقرر الرئيس الفائز.

قدم مخرجا الفيلم جيسي موس وتوني غيرير أفلاما وثائقية عدّة استقت مضامينها من قضايا السياسة. وفي فيلمهما الأخير، يبدو من اللحظات الأولى أننا أمام تجربة فريدة، فالفيلم الممتد لمدة 94 دقيقة، صوّر محاكاة تدريبية من نوع خاص لا تعرض على الجمهور عادةً.

فرضية الفيلم تقول: كيف يمكن لإدارة رئيس أميركي أن تتعامل مع محاولة انقلابية؟ ومن هذا السؤال المشوّق، ينطلق موضوع الفيلم الوثائقي، الذي يتعدى عنصر التشويق القائم على الدراما المتخيلة، فيعتمد على مجريات الأحداث السياسية الأميركية، تحديداً بعد أحداث اقتحام الكابيتول في السادس من يناير/كانون الثاني 2021، والتي رفض فيها محتجّون غاضبون نتائج الانتخابات الرئاسية التي خسر فيها الرئيس الأميركي السابق والمرشح الحالي دونالد ترامب. حينها، اقتحم هؤلاء المحتجّون المناصرون للرئيس الجمهوري مبنى الكابيتول، رمز ومقر السلطة التشريعية الأميركية؛ المبنى الذي يرى فيه الأميركيون تجسيداً لديمقراطيتهم، عدا عن ارتباطه الوثيق بتاريخ الولايات المتحدة.

> كيف يمكن لإدارة رئيس أميركي أن تتعامل مع محاولة انقلابية؟

لم يكن الفيلم من بنات أفكار صانعيه، فهو عمل وثائقي، أبهمهما لتصويره تدريب للأمن الوطني نظمته مؤسسة Vet Voice Foundation (صوت المحاربين القدامى)، وهي مؤسسة غير ربحية تأسست في عام 2009، تهدف، حسب مؤسسيها، إلى تمكين المحاربين القدامى من التأثير في السياسة، كما ترتبط بشخصيات مؤثرة من داخل المنظومة السياسية الأميركية.

تبدأ «صوت المحاربين القدامى» بتدريب استراتيجي يقتضي تكرار أحداث الكابيتول 2021، ولكن مع فارق خطير وهو تمرد في الجيش وانشقاق في قوات الحرس الوطني للولايات. جرى تنظيم المحاكاة السرية هذه في يناير/كانون الثاني 2023، على بعد خطوات من مبنى الكابيتول، بوجود مشاركين من صناع القرار السياسي الأميركي، ينتمون إلى الحزبين الجمهوري والديمقراطي في الولايات المتحدة الأميركية، كما عملوا سابقاً في وزارة الدفاع والاستخبارات، إضافة إلى مسؤولين سياسيين منتخبين. تولى المشاركون مناصب مؤثرة في خمس إدارات رئاسية، كان من بينهم ستيف بولوك حاكم ولاية مونتانا سابقاً، والجنرال المتقاعد ويسلي كلارك القائد الأعلى لقوات الحلفاء في أوروبا بين عامي 1997 و2000، وبيتر ستروك عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي.

فرضية «صوت المحاربين القدامى» أثارت اهتمام المخرجين، اللذين أخذا الإذن بعد مفاوضات مع المؤسسة لتحويل المحاكاة إلى فيلم تمتزج فيه المادة الوثائقية مع بنية درامية تشويقية، وذلك بهدف إيصاله إلى جمهور أوسع. يشرح موس طبيعة الفيلم فيقول إنه «عبارة عن جزء من فيلم وثائقي وجزء آخر من نوع الخيال العلمي الديستوبي، وثالث من المسرح المرتجل»، مضيفاً أن War Games «من شأنه مساعدة الأميركيين على التفكير في مواجهة التهديدات الأمنية».

أما غيرير، فيكشف جانباً آخر لخصوصية الفيلم، ويقول إنه جرى توثيق المحاكاة في تقرير مؤلف من 100 صفحة، ومن ثم عُرض على البنتاغون والبيت الأبيض؛ فهاتان المنظومتان هما «جمهور» Vet Voice الأساسي، لكن تحويل هذه التجربة إلى فيلم يعني نقلها إلى فئات عريضة من الجمهور، ولا بد أن يخلق نقاشاً في المجتمع حول طبيعة التهديد الموجه ضد «الديمقراطية الأميركية». وهذا تحديداً ما يمكن وصفه بأنه دليل دامغ على أن الغاية الحقيقية للفيلم هي بروباغندا سياسية تتكشف تدريجياً مع مرور الدقائق الأولى من الفيلم.

المحاكاة التي وثقها War Game تنطلق من أن الولايات المتحدة تمر بفترة سياسية مقلقة، لا سيما مع صعود تيارات راديكالية داخل القوات المسلحة، وتهدف المحاكاة إلى الاستعداد لسيناريوهات ديستوبية قد تواجهها البلاد. ومع أن المشاركين في الفيلم ينتمون إلى كلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري، إلا أن War Game قدم أنصار الرئيس الأميركي السابق ترامب بوصفهم «الأشرار»، من دون أن يحاول فهم أحداث الكابيتول وما الذي حركها بالضبط، فيجري تقديمها بتجرّد واختزال بصفتها «مؤامرة على الديمقراطية». لم يكتف صناع الفيلم بتصوير واقعهم المصطنع، بل استخدموا كثيراً من اللقطات الأرشيفية لأحداث 2021، وجرى توظيفها بما يكفي لإيصال رسالة لا لبس فيها عن طبيعة «أعداء الديمقراطية» وخلفياتهم السياسية، حتى أن المشاهد التي جرى تصميمها خصيصاً للمحاكاة، حملت عناصر بصرية مشابهة للمظاهرات الداعمة لترامب. يضع War Game المشاركين فيه بلحظات حرجة، فيقدم تمثيلية لانتخابات رئاسية يتنازع فيها المتنافسون، ويرفض الخاسر الاعتراف بخسارته، في سيناريو معد مسبقاً، يضطر فيه أعضاء إدارة ومستشاري الرئيس الحالي جون هوشام (وهم جميعهم شخصيات متخيلة) التعامل مع محاولة لإعاقة إعلان نتيجة الانتخابات في الكونغرس، يرافقها انشقاقات في صفوف الحرس الوطني.

تشديد الحراسة الأمنية على أبواب الكابيتول (Getty)

**الحشود المفترضة**

مع أن فيلم War Game، لمخرجيه جيسي موس (الصورة) وتوني غيرير، انطلق من ذريعة أنه «استجابة لحالة الانقسام غير المسبوقة التي يشهدها المجتمع الأميركي»، إلا أنه يظل غارقاً في التسييس، إذ ينطلق من مقولة صحيحة وهي رفض إعاقة انتقال السلطة بالقوة، ولكن في الوقت نفسه لا يبحث في الدافع المحرك للحشود المفترضة، بل يصورها كما لو أنها كتلة واحدة من جمهور قطيعي مُغرّر به، مكتفيا بهذا الحُكم القيمي.

بعد أن اقتلع متظاهرون تمثال كولومبُس في مينيسوتا عام 2020 (ستيف هاتوريت / Getty)

إضاءة

# كولومبُس والعالم ما بعد الجديد

**عمّار فراس**

أثار الوثائقي الإسباني «الحمض النووي لكولومبُس: أصوله الحقيقية» زوبعة لدى علماء الجينات في العالم، خصوصاً في دولة الاحتلال الإسرائيلي، إذ يدعي الوثائقي الذي يستند إلى «20 عاماً من التحقيق الجيني في رفات كولومبُس»، أن الأخير يهودي سفاردي، وليس إسبانياً، ولا إيطالياً من جنوى. إعلان يهودية «مكتشف العالم الجديد» عام 1492، يُضاف إلى الجهود الرامية إلى إيجاد الأصول اليهودية التي تقوم عليها مؤسسات متعددة، ليضاف كولومبُس إلى هؤلاء. لكن المفارقة، أن نتائج الأبحاث الجينية التي جاءت في الوثائقي لم تُنشر، ولم يُنتج بحث علمي يحققه الاقران، حسب أنتونيو آلونز، المدير السابق للمعهد الإسباني لدراسات السموم والعلوم الجنائية، لكن «هناك آثار تتطابق مع أصول يهودية في حمضه النووي». عبارات غامضة، نطقها الخبير في الطب الجنائي، خوسيه أنتونيو لوريت، تتزامن مع حقيقة العجز عن تحديد مكان مولد كولومبُس بدقة.

هذا ملخص الموضوع: فيلم وثائقي يثبت حقيقة تاريخيّة من دون أي دليل، وعالم ينفي ادعاءات الوثائقي بسبب غياب الأدلة. لكن الإعلان عن «حقيقة» كهذه يثير المفارقة، أولا كون إسبانيا لم تكن ترحب باليهود حينها، فضلاً عن يهودية كولومبُس، إن كانت حقيقة أو وهماً، لا قيمة لها، أمام الإبادة الجماعية التي ارتكبت بحق سكان أميركا الأصليين؛ الإبادة التي دفعت كثيرين إلى تحطيم تماثيله والمطالبة بإزالتها. هنا، نتساءل: لمَ الاحتفاء بشخص وصل من أوروبا إلى أرض لا يعرفها ولا يملكها، فقرّر قتل من فيها ثم استيطانها؟ مفارقة تاريخيّة لا تختلف عما تشهده المنطقة راهناً.

لا تمكن قراءة موضوع جدلي كهذا إلا في ظل ما تشهده الولايات المتحدة الآن، واقتراب موعد الانتخابات، والتفاني الأميركي في دعم الاحتلال الإسرائيلي، بين قتل الفلسطينيين بسرعة (ترامب) وقتلهم أبطا وضمن قيود (هاريس)، وإعلان أن مكتشف أميركا يهودي. تلقف الخبر جديداً، لا يضيف إلى المفارقات السابقة سوى حقيقة جهود مصادرة التاريخ، بناء على أبحاث لا يعرف حقيقتها أحد.

لن تغير يهوديّة كريستوفر كولومبُس من التاريخ. وواقع الإبادات الجماعية التي يمارسها المحتلون الأوروبيون، أينما حطوا، ولن تغير من موقف أميركا، الذي يتجلى بتصريح قديم لنانسي بيلوسي: «إن أنهار مبنى الكابيتول وأصبح

> يدعي وثائقي أن كولومبس يهودي سفاردي وليس إيطاليا من جنوى

حطاماً، أولويتنا دائماً هي تمويل إسرائيل». وهنا يأتي هذا الاكتشاف الزائف بناء على رفات مشكوك بأمره، بوصفه ربطاً بين مولد دولة استعمارية (أميركا) ومصير دولة استعمارية أخرى (إسرائيل)، والربط الذي لا يستحي عن تكراره مثلاً رئيس وزراء ألمانيا حين يقول: «أمن إسرائيل مصلحة ألمانيّة عليا». نعلم أن أي محاولة للنظر علمياً في هذا «الاكتشاف» وتمحيصه، أو حتى السخرية منه وانتقاده، سينتهي بتهمة «معاداة السامية»، ومصادرة «اليهودية». وإلى الآن، لا نعلم إن كان خبير الحمض النووي في هارفرد، ديفيد رايخ، سيُتهم بمعاداة السامية لأنه طلب الوثائق التي تدعم هذا الادعاء، علماً أنه حفيد هاربين من الهولوكوست.

لا ننسى أيضاً موقف إسبانيا الناقد بشدة لإسرائيل، إذ اعترفت الأولى بالدولة الفلسطينيّة، وقرّرت المشاركة في الدعوى المرفوعة ضد إسرائيل في محكمة العدل الدولية. وظهور هكذا وثائقي كهذا أشبه برهان على الوتر الحساس، وتاريخ إسبانيا في معاداة السامية ومحاكم التفتيش، لكن من دون الغوص في التاريخ.

التعليق الأشد اختزالاً للموضوع هو الذي نقلته إل بايس على لسان جوناس كراوس، مدير معهد ماكس بلانك للأنثروبولجيا التطورية: «لن أعلق على أي بحث مقدم ضمن وثائقي تلفزيوني. إن فعلت ذلك، على أيضاً أن أعلق على الكائنات الفضائيّة، ونظريّة الأرض المسطحة، وأطلنطس، والمزيد من ظواهر العلوم الزائفة».

مسار

# مصطفى فهمي... الممثّل بعد موعده مع القدر

**نديم جرجوره**

رحيل الممثل المصري مصطفى فهمي، في 30 أكتوبر/تشرين الأول 2024، دافعٌ إلى بحث، ولو مقتضب، في مسالتين: فرغم أنّ له في السينما أفلاماً عدّة، يميل البعض إلى اعتباره نجماً تلفزيونياً أقوى حضوراً وأعمق اشتغالاً. وسامته، المتساوية مع وسامة شقيقه حسين فهمي، مُوظّفة في فعل تمثيلي، بدلاً من بقائها مجرّد شكل، يُساهم في ترويج عمل سينمائي أو تلفزيوني، لكسب جمهور أكبر.

فوسامة مصطفى (7 أغسطس/آب 1942) مُساهِمة في تفعيل أداء، يمتلك الراحل أدوات أخرى له، تجعله أقدر على جذب عين وقلب وعقل. بينما وسامة حسين (22 مارس/آذار 1940) أطغى عليه من براعة تمثيل، مع أنّ للشقيق الأكبر أفلاماً تُعتبر لحظات فارقة في تاريخ السينما المصرية. رحيل مصطفى يحرّض على مقارنة بين الممثلين الشقيقين، فالغياب أعجز من أنْ يحول دون مقارنة، تنشأ عفوياً وطبيعياً منذ سنين مديدة، خاصة مع عرض فيلم جديد أو بثّ مسلسل جديد لأحدهما، أو لهما معاً في وقت متزامن.

استعادة أفلام لمصطفى فهمي، يُعيد رحيله، تُذكّر بأنّ سيرته السينمائية مليئة باشتغالات، لكنّ جمالياتها الفاعلة في المشهد العام أقلّ تأثيراً من بعض تلك الماثلة في أفلام لحسين فهمي. مقابل هذا، يبدو مصطفى، في غالبية أعماله التلفزيونية والسينمائية أبرع في جعل الشخصية أكثر واقعية ومصداقية، وفي منح الأداء حيوية وعفوية تحولان دون تبسيط وخفّة. أي أنّ حسين فهمي، بوسامته، غير متمكّن من إخراج الشخصية من نصّها المكتوب إلى حقيقتها الفنية إلا نادراً، وبإدارة مخرجين يصنعون جمالاً في أفلامهم. وهذا يفعله مصطفى في غالبية أعماله، وإنْ يكن مخرجوها ومخرجاتها محترفي مهنة فقط. لكنّ إطالة المقارنة بينهما غير نافعة، إذْ يبقى لكلّ منهما حيّزٌ فني مختلف عن حيّز الآخر. انصراف الراحل إلى أعمال بصرية للشاشتين يمنحه مساحة قابلة لغربلة وتفكيك، فإذْ بالسينما تختبر وسامته وحِرفية اشتغاله وبراعته، فتأخذ منه الأفضل فيها كلّها، أو بعض الأفضل على الأقلّ، ويُعطيها ما يمتلكه من شغف المهنة وحماسته لها، وهذان (الشغف والحماسة) يظهران في أداء أدوار، فيها تنويع يبلغ أحياناً تناقضاً في أحوال الشخصية، النفسية والاجتماعية والثقافية والتربوية والانفعالية والحياتية.

ثمّ إنّ مشاركته في أفلام، أدوارها الأولى نُمنح لممثلين آخرين غالباً، غير حائلة دون تنبّه إلى ما يمتلكه من أدوات قول أدائي، لن تتفوّق على بعض أولئك في الأدوار الأولى، لما يمتلكه هؤلاء من حرفية ترتكز على

> تفوّق في بعض أدواره الثانوية على أصحاب دور البطولة

وعي معرفي بأولوية التجديد والاختبار. لكنّ هناك أفلاماً تكشف أنّ لمصطفى فهمي قدرة على التفوّق على مؤدّي أدوار أولى، ما يُلفت انتباه مُشاهدين ومُشاهِدات إلى طغيان حضوره. مثلُ يخطر في البال: «موعد مع القدر» (1986) لمحمد راضي. ففي مقابل محمود ياسين، الذي يُعتبر أحد أبرز الممثلين في جيل ينتمي إليه حسين فهمي ومحمود عبد العزيز ونور الشريف مثلاً، يبرز مصطفى في شخصية عاشق من طرف واحد، متجاوزاً بها ما يُقدّمه ياسين من رصانة طبيب يُصاب لاحقاً بمرض سرطاني. هذا واضحٌ أيضاً في «أيام في الحلال» (1985)، لحسين كمال، مع ياسين نفسه. أمّا «لصوص خمس نجوم» (1994) لأشرف فهمي، فيكشف نوعاً من تحدٍّ أدائي، أقرب إلى المبارزة المخفّفة والمُوارِبة والمُحبّبة، بينه وبين صلاح ذو الفقار.

في «السرب» (2024)، لأحمد نادر جلال، يعمل مصطفى مع ممثلين من أجيال لاحقة، كأحمد السقا وشريف منير وعمرو عبد الجليل ومحمد ممدوح. لبعض هؤلاء أدوارٌ ساحرة بادائهم، تكاد تكون أقلّ عدداً من غيرها. اختبار العمل مع أكثر من جيل لاحق عادة سينمائية في صناعاتٍ كثيرة. لكن، ما يجمع هؤلاء في هذا الفيلم اعتماد قصة حقيقية، تُروى في نسختين: ذبح 21 مصرياً في ليبيا، وتصدّي الجيش، في عمليات عسكرية، لجماعات إرهابية (رواية أولى). غارات مصرية على داعش في ليبيا (15 فبراير/شباط 2015)، بعد إعدام التنظيم 21 قبطياً مصرياً، تحت عنوان «رسالة موقّعة بالدماء إلى أمّة الصليب» (رواية ثانية).

رحله في 30 أكتوبر الماضي (مروان نعماني / فرانس برس)

زيارة

# قرية النطاة الحجازية وآثار توسّع حضري بطيء

وسط الرمال والبازلت الأسود في صحراء الحجاز، ابقت واحة خيبر أثر النطاة «مخفيا» لآلاف السنين، إلى حين اكتشاف بقايا سور طوله 14,5 كيلومترا

ظهر اكتشاف قرية النطاة المحصّنة، وهي الأولى من نوعها في شمال غرب المملكة العربية السعودية، نمط «توسّع حضري بطيء» خلال العصر البرونزي، أي قبل أكثر من أربعة آلاف سنة. فوسط الرمال والبازلت الأسود في صحراء الحجاز، أبقت واحة خيبر أثر النطاة «مخفياً» لآلاف السنين، إلى حين اكتشاف بقايا سور يبلغ طوله 14,5 كيلومتراً، تناولته دراسة لعالم الآثار غيّوم شارلو في مطلع السنة الحالية. أوضح المهندس في مختبر الشرق والبحر الأبيض المتوسط في المركز الوطني الفرنسي للبحوث العلمية، في تصريح لوكالة فرانس برس، أنه توصّل بالتعاون مع فريق فرنسي سعودي إلى «دليل على أن الأسوار منظّمة حول مستوطنة بشرية». هذه المستوطنة عبارة عن قرية كبيرة، تأسست قبل نحو 2400 من الميلاد، وسُكنت خلال أكثر من حقبة، وكان عدد سكانها يصل ربما إلى 500 نسمة، لكنها هُجرت «من دون معرفة السبب»، بعد نحو ألف عام من نشوئها. وعندما وُلدت قرية النطاة، كانت منطقة سومر، مهد حضارة بلاد ما بين النهرين، والواقعة في العراق حالياً، موجودة منذ ألف عام. في هذه المرحلة الأولى من العصر البرونزي، كانت مدن المشرق المطلة على البحر الأبيض المتوسط، من سورية إلى الأردن الحاليين. أما شمال غرب الجزيرة العربية، فكان حتى ما قبل نحو 20 عاماً من اليوم بمثابة أرض مجهولة بالنسبة إلى علماء الآثار، إذ كانوا يرون فيه مجرّد منطقة صحراوية، تتخللها مواقع جنائزية، وتعبرها مجموعات بدوية من الرعاة. إلّا أن علماء الآثار اكتشفوا قبل 15 عاماً في واحة تيماء سورا يعود تاريخه إلى العصر البرونزي. وبعد هذا «الاكتشاف الأساسي الأول»، بحسب شارلو، شكّل إنجاز النطاة محطة جديدة، إذ هي أول قرية من ذلك العصر تُكتشف في تلك المنطقة. تساهم الصخور البركانية السوداء في هذه المنطقة، الواقعة في جزء شديد الجفاف من صحراء الحجاز، في إخفاء آثارها جيداً تحت أكوام من البازلت. حتى إنها خفت الموقع «من الحفريات غير القانونية»، بحسب شارلو. أما المبتدئ «فلا يرى شيئاً» إلا إذا لجأ، كما فعل علماء الآثار، إلى استطلاع الموقع من الجو لتخمين مسار الممرات التي تفصل بين أساسات المنازل. قبل إجراء الحفريات طوال مواسم عدة لقياسها. وشرح عالم الآثار أن هذه الحفريات التي «لا تزال أولية لجهة إتاحتها تكوين فكرة عن إشغال الموقع»، أظهرت وجود أساسات من الحجر الأسود «تكفي قوتها لكي تحمل بسهولة طبقة أو اثنتين» على الأقل من المساكن الخاص، وتضم منطقة سكنية قوامها 50 منزلاً، وجزءاً آخر لم يتضح دوره بالكامل، إضافة إلى مقبرة. وتحتوي الأضرحة نفسها على بعض الأغراض التي تدلّ على المكانة، وعلى أسلحة معدنية وأحجار شبه كريمة، ما يوحي نظاماً اجتماعياً أصبح أكثر تعقيداً قبل نحو ألفي عام من الميلاد.

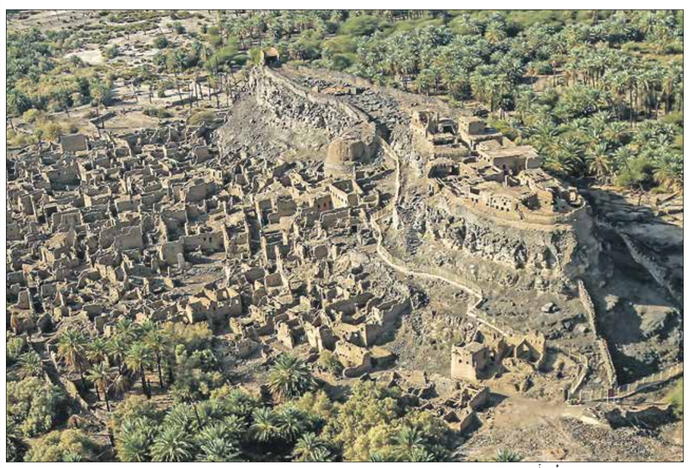

أول قرية من العصر البرونزي تُكتشف في تلك المنطقة (محمد هاشم/ فرانس برس)

(فرانس برس)